

الفصل السادس

المدرسة الاشتراكية العربية
والصراع الإيديولوجي المعاصر

obeikandi.com

المدرسة الاشتراكية العربية والصراع الإيديولوجي المعاصر

لما كان العالم - كما قدما - يكتسحه الفكر الاشتراكي بعد أن سلبت الاحتكارات الرأسمالية أهم مقومات الديمقراطية الليبرالية وأفرغتها من معناها بقضائها على عالى التنافس والفردية وإخضاعها السلطة السياسية لأهواء القوة الاقتصادية العدوانية مما أفقد الرأسمالية كنظام جاذبيتها التاريخية حتى بالنسبة للجماهير شعوبها ، ولما كانت للاشتراكية مدارسها المتعددة : المدرسة البلشفية السوفيتية ، والمدرسة الصينية المaoوية ، والمدرسة الديرغرسلافية الثيوتوية ، وكل من هذه المدارس إنما تنبع من واقع كل شعب وظروفه وتجاربه بل وتراثه الوطني الأصيل كما أثبتت الأحداث . . .

فقد كان على الثورة المصرية وغيرها من الثورات العربية أن تحدد في لقاءها مع تيارات الفكر العالمى المعاصر - وحرصها في الرقعة نفس على تراث الأمة العربية وشخصيتها المتميزة - معالم المدرسة الاشتراكية العربية بما يتفق مع رغبة الأمة العربية في القفز فوق حاجز الزمن ومخلفات الاستعمار والاستبداد لحاقاً بركب الحضارة العالمية ، ولا يصطدم مع مقوماتها وعقائدها الأساسية .

ومن الممكن أن نلخص من واقع مبادئ الثورة المصرية الخصائص الأساسية للمدرسة الاشتراكية العربية - كما ينبغي في اعتقادنا أن يطلق عليها - في المبادئ التالية :

١ - إرادة تغيير ثورى ترفض أى قيد أوحد لحقوق الجماهير ومطالبها^(١) .

٢ - إيمان لا يتزعزع بالله وبرسوله ورسالاته القدسية .

(١) راجع أبواب الميثاق .

٣ - تحالف قوى الشعب العاملة لحل التناقضات الطبقيّة - سلميّا واستنكار اللجوء إلى العنف ، وعدم السماح بتحكم طبقة اجتماعية واحدة أو سيطرتها ..

٤ - حتمية الحل الاشتراكي .

٥ - احترام الملكية الفردية غير المستغلة .

٦ - احترام حقوق الإنسان وإعلاء مبدأ سيادة القانون .

٧ - الربط الوثيق بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية .

٨ - الإيمان بمبدأ القيادة الجماعية وصيانة حق النقد والنقد الذاتي .

٩ - الإيمان بالقومية العربية والسعى إلى تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

١٠ - نيل الاستعمار ومحاربه بكل الوسائل وفي كل مكان .

١١ - الإيمان بمبادئ التعايش السلمي وميثاق الأمم المتحدة والتضامن

الآسيوي الإفريقي .

وكما كان متوقعا فقد تعرضت ثورة الشعب العربي في مصر وغيرها من الأقطار العربية لمحاولات يائسة من جانب القوى الاستعمارية القديمة والجديدة لاستقطابها أو القضاء عليها بكل الأساليب والطرق من حرب ساخنة إلى حرب باردة ، ومن أحدث أسلحة القتال التكنولوجية إلى أحدث أساليب الحرب النفسية والأيدولوجية .

وتكاد تسير محاولات التخريب الأيدولوجي الذي تعزف أجهزة الإعلام المعادية والأقلام العميلة على وترها بتناسق ظاهر ومهارة فائقة على النحو التالي (١) :

أولا - مهاجمة فكرة الوحدة العربية : فأعداء الوحدة العربية يسلكون الأضواء على ما بين الشعوب العربية من خلاف ويتغصن الطرف عما بينها من أواصر اللقاء والتشابه والمصالح ، ويهمسون إلى مصر بأن من مصلحتها التفرغ لشؤونها الخاصة وأن ربط عجلتها بالأمة العربية ليس وراءه إلا المتاعب ، ويهمسون

(١) مختار التهامي : تحليل مضمون النعابة - دار المعارف ١٩٧٤ .

في أذن الدول العربية الأخرى بأن مصر ترفع راية الوحدة العربية لتحل مشاكلها على حساب تلك الدول^(١) . ومن الواضح أن العدو كان يرى من وراء ذلك إلى إحداث خلخلة في الجبهة العربية وعجز عن وضع خطة مشتركة لمواجهة العدو المشترك ، وليس من شك أن التكاتف العسكى والسياسى والاقتصادى للدول العربية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد أفسد كافة مخططات العدو ، ولكن هذا لا يعنى فراغ جعبته أو انتهاء محاولاته الداقة للأسافين .

ثانياً : مهاجمة الفكر الاشتراكى فى النظرية والتطبيق : فمن الناحية النظرية يرتكز هجوم العدو على الخلط بين الاشتراكية الممارسة في البلدان العربية والشيوعية وهم يستهدفون من وراء ذلك بلبلة العامة وعزل الدول الاشتراكية العربية عن سائر الدول العربية والإسلامية الأخرى . أما من الناحية التطبيقية فإن هجوم العدو ينصب على بعض الأخطاء التى لا بد وأن تتعرض لها كل تجربة جديدة فيضخمونها ويبالغون فيها ويفضون الطرف تماماً عن النواحي الإيجابية الغلبة فيها . فمن ذلك مثلاً الحملة المضارية على القطاع العام الذى أولاه - كما قال رئيس الوزراء - لما استطاعت مصر أن تحوّل بنجاح ساحق معركة التحرير الكبرى في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ومن ذلك أيضاً الحملة المريبة على السد العالى فخر مشروعات الثورة ومنجزاتها .

وفى اعتقادنا أن المدرسة الاشتراكية العربية - ممثلة في الثورة الاشتراكية العربية الأم - ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - قد نجحت فعلاً - رغم كل ضروب الحرب النفسية الباردة والساخنة التى شنتها عليها قوى الاستعمار والرجعية ورغم بعض أرجح التناقض الذى شابها في التطبيق - في تكوين نقطة ارتكاز أساسية لأيدىولوجية عربية مقبولة من الجماهير الشعبية العريضة حيث إنها لا تنتكر لمعتقداتها الأساسية ولا تتخلف في الوقت نفسه عن

(١) سليمان الطساوى : الوحدة الوطنية ص ١٣٦ - ١٤٠ - دار الكتاب العربى بالقاهرة .

سايرة ركب الزمن وتيارات الفكر والحضارة الإنسانية المعاصرة .

وفي اعتقادنا - أيضاً - أن نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ وملاساتها وأحداثها هي البداية الحقيقية لقطف ثمار هذه الأيديولوجية التي وإن تباطأ نضجها وسط هذا الصراع الأيديولوجي العالمي المحتوم وفي مواجهة الحرب النفسية التي لا تكل ، قد استطاعت مع الزمن أن تشق طريقها بنجاح وثبات فلم يفرقها المد أو يقتلها الجزر . . .

ولعل أبرز ما يميز فكر المدرسة الاشتراكية العربية محاولتها الجمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية ، أو على الأقل إيجاد قدر من التوازن بينهما يستهدف عدم إوهاق الجيل الحالي - بقدر الإمكان - بأعباء فوق طاقته النفسية أو المادية ، وهو ما يمكن أن نسميه بحق بأسلوب ثورة ٢٣ يوليو في الانتقال السلمي إلى الاشتراكية . وهو الأسلوب الذي يدعاه حالياً رفع الدولة لشعار سيادة القانون في النظرية والتطبيق الأمر الذي يأتي على كاهل أجهزتنا الإعلامية والثقافية مزيداً من المهام والمسئوليات لحجابه الحرب الإعلامية والثقافية المعلقة علينا بصفة دائمة بحكم أوضاع عالمنا المعاصر التي تناولناها بالحديث في فصول هذا البحث ، تلك الحرب التي تستهدف أساساً لوى إرادتنا وطمس شخصيتنا وتشويه معالم ثورتنا التي تمثل بحق خطراً ماحقاً وتهديداً خطيراً لأحلام الاستعمار قديمه وجديده للعودة إلى المنطقة عنقياً صهوة الحصان الصهيوني الظآن لرى عطشه من آبار البترول .

وإذا كان لنا أن نلخص الدروس المستفادة من الصراع الأيديولوجي العالمي المعاصر الذي عرضنا لمظاهره الأساسية في هذا الكتاب كي تساعدنا هذه الدروس في تبين طريقنا ، فليس من شك أن الحقائق أو المعادلات التالية هي أول وأهم ما ينبغي أن يستلفت أنظارنا .

وهذه الحقائق تقول :

- في غيبة العقيدة يسهل الإيحاء وبالتالي تنفشي الحرب النفسية وألوان الدعاية المدمرة وتؤتي ثمارها ، وهذا يؤكد أهمية تمسكنا بعقيدة واضحة وبقننة وصادقة تجذب حولها السراد الأعظم من الجماهير .

— لا يفضل العقيدة إلا العقيدة . ولذلك ينبغي أن تدعم من ترسيخ عقيدتنا في عقول ونفوس أبناء شعبنا وخاصة أطفالنا وشبابنا .

— الأفعال هي الاختبار الحقيقي للمى صدق العقيدة والضمآن الأساسى والإلتفاف الجماهير حولها ، ولذلك ينبغي أن تتمشى أفعالنا دائماً مع عقيدتنا المعلنة .

— أجهزة الإعلام والثقافة بما تقدمه من نماذج وأفكار ومعلومات أدوات خطيرة لدعم العقيدة أو هدمها . ولا يمكن أن تسود عقيدة مع وجود مناخ إعلامى وثقافى معاد لها . فأول ما تسعى إليه القوى المعادية للثورة — أى ثورة — هو التسلل إلى الجهاز الإعلامى والثقافى لإيجاد فجوة بين الغذاء الروحى اليومى والعقيدة السائدة بين الجماهير . وهذا يتطلب منا المبادرة فوراً إلى إعادة تقييم أجهزتنا الإعلامية والثقافية ووضع حد لآى تناقض موجود .

وهنا نجابهنا مشكلة خطيرة هي مشكلة الحرية . حرية التعبير . كيف نحافظ على حرية التعبير وهى أساسية لصيانة أى نظام اجتماعى سياسى دون أن نسمح بتسلل التخريب الفكرى لهدم النظام .

والرد على ذلك أن الحرية مسئولية ، وحدود هذه المسئولية لا يكونها الفرد بنفسه ولكن تكونها الجماعة عن طريق تنظيماتها السياسية الديمقراطية .

وإذا كانت الجماعة قد ارتضت موافق ثورة يوليو عقيدة لها فقد تحددت حدود هذه المسئولية فى احترام هذه العقيدة والالتزام النام بها من جانب صانعى القرار السياسى والإعلامى . فهذا هو الطريق الوحيد لصيانة وحدتنا الوطنية وكياننا القومى . . .

والله ولى التوفيق

• • •